الفصل الثانى

الواقع الثقافي الذى ظهرت فيه الصحافة الإسلامية

تمهيد:

لقد صاحب الغزو العسكرى والاحتلال الإنجليزى لمصر ١٨٨٢ م، غزو حضارى وتأثير فكرى، حيث عمل الاحتلال منذ البداية على تنحية الشريعة الإسلامية من قانون القضاء، وحصرها فى الأحوال الشخصية، وفصل بين «العلم» و«الدين» بل فصل بين المدارس المدنية والمدارس الدينية، فنوجد هوة سحيقة بين النظرية الإسلامية والمذهبية المادية التى فرضها بحكم القانون والتعليم(١).

بل لا أكون مبالغاً إذا قلت: إن الغزو الثقافى غالباً ما كان يسبق الغزو العسكرى، فيمهد له الطريق، ويسهل عليه المهمة، ولتكون الفريسة جاهزة للانقضاض التام عليها، والاستيلاء الكلى على مقدراتها، والغزو الفكرى كما يقول الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد: تعبير دقيق بارع يصور خطورة الآثار الفكرية التى قد يستهين بها كثير من الناس لأنها تمضي بينهم فى صمت ونعومة، مع أنها حرب ضروس لا تضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسير وقتيل، أو ممسوخ كحرب السلاح أو هى أشد فتكا(٢).

ومن هنا فإن الغزو الفكرى لا يتوقف بتوقف الغزو العسكرى ولا يرحل برحيله، وذلك لأن الغزو الثقافى يتميز بالشمول والامتداد، فهو حرب دائمة دائبة، لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شُعب الحياة الإنسانية جميعا، وتسبق حروب السلاح وتواكبها، ثم تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين، وتنقص تماسكه النفسى حتى ينوب كيانه فيقبل التلاشى والفناء في بوتقة أعدائه، أو يصبح امتداداً ذليلا لهم، بل ربما تبلغ حداً من الإتقان يصل بها إلى أغوار النفس فتقلب معاييرها، ومفاهيمها، وتشكل لها أنماطاً جديدة فى السلوك والأخلاق، والأذواق إلى الدرجة التى تجعل المهزوم يفخر فيها بتبعيته، ويراها شرفا خليقا بالرضا والشكران(٣).

---

(١) أنظر المقدمة الهامة التى كتبها محمود أبو السعود فى: ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، ترجمة، محمود أبو السعود، تعليق، صالح أبو رقيق، بدون ناشر ١٩٨٠، ص ٢٢.

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكرى، مرجع سابق ص ٣٢٢.

(٣) السابق نفسه، ص ٧، ٨.

مواقع التأثير الثقافى للاحتلال:

ولذلك فإن الاحتلال الانجليزى ركز نشاطه فى جوانب متعددة ليحقق هدفه المنشود وغرضه المقصود وكان من بين هذه الجوانب التى ساعدت المستعمر على غزونا ثقافيا وتثبيت أقدامه عسكريا ما يلى:

أولا: البعثات التعليمية، وهم طلاب يوفدون فى بعثات إلي ديار الغرب ليحصلوا العلوم الأوربية الحديثة، والتى اقتبسوا جذوتها الأولى من المسلمين فى الأندلس وغيرها، وقد حرص المستعمر المتحكم على أن يجعل أكثرية المبعوثين إلى دياره يدرسون الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، لأنها هى التى تصنع للإنسان أفكاره وقيمه ، وموازينه، ونوقه واتجاهه وسلوكه، مع أن الذى كانت تحتاج إليه البلاد فى ذلك الحين هو العلوم التطبيقية التى يترتب على التفوق فيها الرقى الصناعى، والنمو العمرانى والتقدم العسكرى ، ولكن المستعمرين الماكرين أصروا على أن يحتكروا هم هذا الجانب الهام لنظل في حاجة دائمة إلى خبرائهم ، ومعوناتهم ، ولنظل سوقا مفتوحاً لبضائعهم ومصنوعاتهم، ومن الناحية الأخرى هم يعملون بكل ما أوتوا من مكر وخديعة لبث أفكارهم وقيمهم وعاداتهم ومبادئهم - ولا غرو إذا رأينا هؤلاء المبعوثين إلى الغرب يذهبون إليه شرقيين مسلمين يعودون - إلا من عصم الله- متغربين ، علمانيين لا دينيين»، ولم يغيروا أسماءهم ولا دينهم الرسمى ولكنهم غيروا أفكارهم وقيمهم ، ونظرتهم إلى الدين والحياة، وإلى الناس وإلى الماضى والحاضر وإلى النظم والشرائع وإلى الآداب والتقاليد، وبدا ذلك واضحاً فى سلوكهم وأخلاقهم وعلاقاتهم، وفيما يكتبون وينتجون فى ميدان الفكر والثقافة والتوجيه(١).

ثانيا: المدارس التبشيرية والأجنبية: فطريق المدارس والمؤسسات التبشيرية والأجنبية التى كان الاستعمار الغالب يرعاها رعاية الأب الحانى على ولده، ويقدم لها

(١) أنظر بالتفصيل : يوسف القرضاوى ، الحلول المستوردة، وكيف جنت على أمتنا، الطبعة الثالثة القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٧ ، ص ٢٠، ٢١ أيضا: عماد الدين خليل، البعثات التعليمية بين السلب والإيجاب، الطبعة الأولى القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٠، ص ٢٧ ومن بعدها، ويرى الباحث أن من بين المبعوثين من عاد غير متأثر بقيم الغرب وعاداته الضارة، بل نقل إلينا النافع المفيد منها فأفادت الأمة كثيرا منه، ومن ثم فإنه ليس حكما مطلقا أن البعثات التعليمية ساعدت على الغزو الثقافى لأمتنا.

كل عون مادى وأدبى على حين يضيق الخناق على المدارس والمؤسسات الوطنية وخاصة تلك التى تحافظ على عقيدة الأمة وثقافتها وتراثها، وقد صرحت «أنا مليجان» عن هدف هذه المدارس ومهمتها فى بلاد العرب والمسلمين فقالت : «إن المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى وهذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة أوطانهم» ويقول المستر «بثروز» رئيس الجامعة الأمريكية فى بيروت «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون فى سعيهم لتنصير سوريا ولبنان[١].

ولاشك أنه كان لنشاط هذه المدارس الأجنبية أثر على الفكر المصرى والتعليم المصرى الصميم، إذ اتجه الأغنياء من هذا الوطن إلى التعليم الأجنبى في بلادنا، وذلك ليتعود أبناؤهم وبناتهم الحياة الأوروبية، والتفكير الأوربى، فيصبح بينهم وبين سواء الشعب حائل كثيف من حيث الأخلاق والعادات والتفكير، بل إن بعضهم لا يسوؤه أن يجاهر في قحة بالغة بأنه لا يعرف العربية لأن لغته التى يتحدث بها الإنجليزية أو الفرنسية حسبما يتفق والمدرسة الأجنبية التى تعلم فيها، وإذا صح أن هؤلاء الأغنياء هم الطبقة المرموقة في المجتمع المصرى، فإن مقدرات الوطن الاقتصادية كانت بأيدى هذه الفئة، ومن هنا كان يمكنهم أن ينفذوا ما يعتقدونه أو ما يوجهون إليه من المستعمرين[٢].

وأما المدارس الأجنبية، وهى التى تقوم فيها الدراسة على أسس غربية خالصة، والتى أخذ الاستعمار يوجهها، ويراقبها، ويضع لها أهدافها ومناهجها التى يرضى عنها ويصنع لهذه الأهداف والمناهج ، الكتاب ، الذى يخدمها، والمعلم الذى يتمثلها وينقلها من السطور إلى الصدور والإدارة التعليمية التى تشرف على تنفيذها[٣].

وقد تمثلت أهداف هذا النظام التعليمى في عدة أهداف:

١- تخريج أجيال مجردة من العقيدة الدينية أو مزعزعة الإيمان على الأقل بالقيم الإسلامية..

---

(١) يوسف القرضاوى، المرجع السابق نفسه، ص٢٣.

(٢) عبد الحى دياب ، الإقطاع الفكرى وآثاره، الطبعة الأولى القاهرة، مكتبة الشعب- بدون تاريخ، ص ٢٧،٢٦.

(٣) يوسف القرضاوى، الحلول المستوردة، مرجع سابق، ص ٢٤.

٢- تخريج أجيال مجردة من الاعتزاز القومى، أو مزعزعة الإيمان على الأقل بالقيم الشرقية..

٣- إقصاء كل الشخصيات التى يمكن أن تفسد عليه خطته الرهيبة في مجال التوجيه.

بل فى مجال التأثير في وزارة المعارف، ومن هنا حكم على جميع الذين لم يتثقفوا ثقافة أوربية- أيا كان عملهم، وأيا كانت كفايتهم- أن يكونوا منبوذين من الوظائف الرسمية في الوزارة أولا لكى لا يكون لهم رأى في توجيه سياسة التعليم وثانيا لكى تمتهن فيهم الثقافة العربية والصفة الدينية فتظل محتقرة في مشاعر تلاميذهم فقد كان يرمى أساساً إلى تحقير الثقافة العربية الدينية وإبعاد من يمثلونها عن مراكز التوجيه.

٤- تخريج أجيال مجردة من المشاعر الشعبية منعزلة عن كتلة الشعب لكى يبقي القادة وهم المتعلمون في جهة وتبقى كتلة الشعب في جهة، فلا يلتقى القادة والشعب فى مشاعر واحدة وأهداف واحدة.

٥- تخريج أجيال مجردة من الثقة بالنفس ومن الشجاعة ، ومن القدرة على الابتكار[١] وليس معنى هذا أن كل من ابتعث إلى الخارج إبان الاحتلال أو قبله أو بعده أو تعلم في مدارسه التى بناها أو تبناها خائن أو مخادع أو ترك دينه وقيمه، وتم مسخه أو غير ذلك، فلا شك أن هذا يكون تعميماً خاطئا ، لأن من بين هؤلاء المبتعثين وغيرهم ظلوا أوفياء لأمتهم ووطنهم وظلوا معتصمين بقيمهم وعقيدتهم، محافظين على شخصيتهم ومبادئهم، بل على العكس فمنهم من قام بدور فعال فى كشف خطط الاحتلال ، ومحاربة الفكر التغريبى الاستشراقى[٢].

ولكن لم يكن هؤلاء القاعدة ، إذ كانت خطة الغزو الثقافى والتغريب في مجال التعليم هى أشد الخطط دهاء ومكراً، من حيث احتواء المسلم عقليا وثقافيا، وهو العمل الأكبر الذى يتطلع الغرب إليه من أجل صناعة أجيال تابعة مستسلمة[٣].

---

(١) أنور الجندى، عقبات فى طريق النهضة، مرجع سابق، ص ١٤٤-١٤٥.

(٢) عماد الدين خليل، البعثات التعليمية، مرجع سابق، ص ٣١،٣٢.

(٣) أنور الجندى، عقبات في طريق النهضة، مرجع سابق، ص ٦٤٦.

وهذا ما نفذه «دنلوب» ببراعة وكفاءة، فقد عمل منذ أن تولى عمله بوزارة المعارف المصرية في ١٧ مارس ١٨٩٧م على أن ينشأ أجيال متعاقبة من تلاميذ المدارس فى البلاد يرتبطون ارتباطا وثيقا بالاحتلال عن طريق تفريغهم تفريغاً كاملا من ماضيهم كله، مع هتك أكثر العلائق التى تربطهم بهذا الماضى اجتماعياً وثقافياً ولغوياً، ومع ملء هذا الفراغ بالعلوم والآداب والفنون ولكنها فنونهم هم، وآدابهم هم، وتاريخهم هم، ولغاتهم أى الإنجليز(١).

ولاشك أن تفريغ الأجيال من ماضيها المتدفق في دمائها، المرتبط بالعربية والإسلام، يحتاج إلى فكر آخر، يغطى عليه، فجاءوا بماض بائد مغرق فى القدم والغموض، ليزاحم بقايا ذلك الماضى المتدفق الحى، الذى يوشك أن يتمزق ويختنق بالتفريغ المتواصل (٢) ولم تكن المحاولات الإنجليزية لاحتواء العقل المصرى وغزوه فكريا وثقافياً هى الوحيدة فى الميدان بل كانت هناك المدارس الفرنسية التى جاء الإحتلال الإنجليزى فوجدها قائمة وكائنة ولكن الخطة الجديدة أن يتم التغريب على الخطة الإنجليزية ، ولاعجب في ذلك، لأنه لا ينتظر من المحتل غير ذلك، وإن كان العجب أن انجلترا لم تتعرض قط للمؤسسات والمدارس الفرنسية ، وكذلك المعاهد التبشيرية وماشاكلها، رغم حرصها الشديد على طرد النفوذ الفرنسى السياسى، وذلك مرده إلى أن دول أوربا، قد تتنافس فيما بينها على النفوذ والمغانم تنافساً عنيفاً يؤدى إلى الحرب بين الحين والحين ولكنها إزاء الإسلام، وضرب الإسلام، وطمس هوية المسلمين، تتساند كلها ويحمى بعضها مصالح بعض ما دامت أهدافها تحقق فى نهاية المطاف بصرف النظر عن الجهة التى قامت بتنفيذ الأهداف(٣).

بل كانت هناك أيضا محاولات أمريكية، لاحتواء العقل المصرى ففى عام ١٩١٩م قامت الجامعة الأمريكية فى مصر، وكانت مؤلفة منذ البداية من كليات الآداب والعلوم والتربية والدراسات الشرقية، كما كانت تصدر مجلة باللغة العربية هى مجلة «التربية

(١) محمود محمد شاكر، رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا ، القاهرة، كتاب الهلال، العدد ٤٨٩ سبتمبر ص ٢٢٥.

(٢) السابق نفسه، ص٢٢٦.

(٣) أنظر بالتفصيل، محمد قطب، واقعنا المعاصر، مرجع سابق،ص ٢١٥ وما بعدها وأيضاً، محمد جلال كشك، ودخلت الخيل الأزهر، الطبعة الأولى القاهرة، دار المعارف ، ١٩٨٧ ، ص ١٧.

الحديثة» ويقينا أن الجامعة الأمريكية لم تقم فى مصر فى هذا الوقت المبكر لوجه الله- شأنها فى ذلك شأن كل المدارس الأجنبية- أو لخدمة الثقافة الإنسانية المجردة، وإنما قامت للتأثير فى عقل مصر، وخلق كوادر تنتشر فى المجتمع المصرى، وتعمل على توجيهه، وأيضا هناك محاولة أمريكية لتلوين الوجه الثقافى لمصر وقعت عام ١٩٢٦، وذلك عندما قام المليونير الأمريكى روكفلر بالتبرع بعشرة ملايين دولار للحكومة المصرية لكى تنشئ معهداً للدراسات الفرعونية، واشترط إشرافاً أمريكيا على المعهد وكان المقصود من ذلك هو مساندة الدعوة الفرعونية ، ضد دعاة العروبة والإسلام، ولكن الله سلم فلم تتم الصفقة[١].

مقاومة الغزو الثقافى:

كانت ثورة ١٩١٩، ثورة على كثير من الممارسات الاستعمارية فى مجال الفكر والتعليم، وتجلت مظاهر هذه الثورة فى مجال التعليم، ليصبح باللغة العربية فى كثير من مدارسنا ومعاهدنا بعد أن كان باللغة الإنجليزية. وأن يقوم بالتدريس مدرسون مصريون بدلا من المدرسين الأجانب[٢].

ويأتى عام ١٩٢٣، ويعلن فيه عن دستور ١٩٢٣، ولقد حوى هذا الدستور بين مواده، ثلاث مواد عن التعليم، هى ١٧، ١٨، ١٩، أما الأولى فقد جاء بها أن: التعليم حر ما لم يخل بالنظام العام أو ينافى الآداب. أما الثانية: تنظيم أمور التعليم العام يكون بالقانون. أما الثالثة: فنصت على أن التعليم الأولى إلزامى للمصريين من بنين وبنات، وهو مجانى فى المكاتب العامة. وليس من شك أن هذه المواد الثلاث، رغم ما يسودها من طابع التواضع، إذ إنها لا تكاد تمنح المصريين سوى الحق الأدنى من التعليم، لكنها مع ذلك جاءت نتيجة إعلان نظام مصرى اتضحت معالمه الأولى فى تصريح فبراير ١٩٢٢ وتأكدت فى دستور ١٩٢٣[٣].

(١) رجاء النقاش، المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة، الكويت، كتاب العربى، رقم (٣) يوليو ١٩٨٤، ص ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، وانظر أيضاً: محمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية المكافحة الإسلام، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامى، ص ٢٩٥.

(٢) محمد قطب، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة، جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩، صـ ٢١٥.

(٣) سليم نسيم، صياغة التعليم المصرى الحديث، دور القوى السياسية والاجتماعية والفكرية ١٩٢٣ - ١٩٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ صـ ٩.

ومن المؤسسات التعليمية التى كانت فى مصر، الجامعة الأهلية، والتى ظلت حتى عام ١٩٢٥ مؤسسة ثانوية بجانب المدارس العليا، إذ إن الدراسة بها حرة، واللوائح غير دقيقة، ولذلك استمرت المدارس العليا هى التى تستوعب معظم الحاصلين على شهادة الثانوية، وأرادت وزارة المعارف المصرية حينئذ أن تستفيد من الجامعة الأهلية، وكان السؤال المطروح هو: هل تتوسع الجامعة بمساعدة الحكومة وتظل أهلية؟ أم يحدث تنسيق بينهما من نوع ما؟ أو تندمج الجامعة الأهلية فى التعليم العالى، ويؤسس نظام جامعى حكومى جديد؟ ولقد تم تنفيذ الاقتراح الأخير، وتم تسليم الجامعة الأهلية لوزارة المعارف وتحويلها إلى جامعة حكومية، واتخذ قرار فى هذا الشأن فى ١٢ ديسمبر ١٩٢٣[١].

ومن المؤسسات العلمية التى كانت فى مصر إلى جانب المدارس والجامعة المصرية والجامع الأزهر، مجمع اللغة العربية، الذى توقفت حركة نشاطه إبان الثورة فى ١٩١٩ لاشتغال فريق من رجاله بالحركة الوطنية، وفى عام ١٩٢١ اجتمع بعض أهل العلم والأدب وتباحثوا فى أمر وجوب تجديد هذا المجمع، وتولى إدريس بك راغب رئيسا للمجمع، ووضعوا قانونه، وقد نصت المادة الثانية، منه على أن الغرض من هذا المجمع هو ترقية اللغة وإحياء ما تدعو إليه الحاجة مما دثر من مفرداتها، وأول أعماله جمع المواد اللازمة لوضع معجم يكون حسن الترتيب سهل التناول، شاملا للألفاظ المدونة فى المعجمات المتداولة[٢].

ظهور التيار التغريبى:

وفى الواقع، إن الذى يدرس الفترة التى تقع ما بين ١٩٢٥ - ١٩٣٠، يلاحظ أن الحركة الفكرية بلغت ذروتها، ففى عام ١٩٢٥، أصدر الشيخ على عبد الرازق كتابه «الإسلام وأصول الحكم» طرح فيه قضية فصل الدين عن الحكم، وتتمثل أهمية الكتاب،

(١) سامية حسن إبراهيم، الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، صـ ٢٠، ٢١.

(٢) عبد المنعم الدسوقى، مجمع اللغة العربية، دراسة تاريخية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة الطبعة الأولى، ١٩٨٣، صـ ٢٠، ٢١.

فى أنه خرج بصورة أكثر منهجية وعمقا وارتباطا بأصول الإسلام واستند فيه صاحبه إلى حجج ومبررات دينية شرعية مستمدة من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى[١].

وفى عام ١٩٢٦ أصدر الدكتور طه حسين كتابه «فى الشعر الجاهلى» مستخدما منهج الشك الديكارتى والنقد التاريخى الأوربى فى غربلة الروايات والنصوص الدينية، بما فى ذلك الآيات القرآنية، مما طرح إمكانية نقد القرآن ونقضه من وجهة نظر البحث العلمى، وهنا تكمن خطورة هذا الكتاب، وليس فى مجرد تشكيكه بمصادر الشعر الجاهلى، ومن هذا المنطلق كان طه حسين يؤكد أن العلم فى ناحية والدين فى ناحية أخرى[٢].

وفى العام نفسه عام ١٩٢٦، كتب إسماعيل مظهر فى «المقتطف» يدعو إلى نقض العقلية الغيبية المخلوطة بشىء من العلم التى تميزت بها الحضارة الإسلامية، وإلى إحلال العقلية العلمية الأوربية محلها دون تقريب وتوفيق، وبأسلوب الصدام والمواجهة بين العقليتين[٣].

ولا شك أن هذا الواقع الفكرى، أحدث وتسبب فى معارك فكرية عنيفة، عبر الصحف والمجلات المصرية التى كانت تصدر حينئذ كالتى وقعت بين على عبد الرازق أو طه حسين وبين مؤيدهم ومعارضيهم، ومن الصحف التى خاضت هذه المعارك الفكرية، الأخبار، واللواء والمصرى، والمنار، والسياسة والبلاغ، فكانت هذه الصحف ساحة للجدل والنقاش بين المدارس الفكرية المختلفة[٤].

وفى إيجاز نتحدث عن كل تيار من هذه التيارات خلال الصفحات التالية:

أولا - التيار الإسلامى:

يعتبر التيار الإسلامى هو أكبر التيارات الفكرية التى كانت قائمة وظاهرة على

---

(١) محمد جابر الأنصارى، تحويلات الفكر والسياسة فى الشرق العربى ١٩٣٠ - ١٩٧٠، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم ٣٥، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، صـ ٢١.

(٢) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، مكتبة القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٢، صـ ٢٧٨، وما بعدها.

(٣) راجع: مختار التهامى، ثلاث معارك فكرية، دار مأمون، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦، صـ ٥٣ وما بعدها.

(٤) السابق نفسه، صـ ٦٥.

الساحة الفكرية المصرية، وأقواها تأثيراً في الحركة الوطنية؛ بل إن هذا التيار هو الأصل والأساس الذى كانت تنطلق منه وتحيا به الحركة الوطنية منذ أحمد عرابى وقد يبدو غريباً أن نتحدث عن وجود تيار إسلامى في مصر، وهى بلد الأزهر والإسلام ولكن هذه الغرابة تتبدد عندما نعلم أن الإحتلال الإنجليزى عندما جاء إلى مصر عمل بكل ما يملك على تغريب المجتمع، وإيجاد البديل الفكرى المناهض للفكر الإسلامى الذى كان غالباً وسائدا فى البلاد والمتمثل فى الأزهر وعلمائه، والذى كان يقوم بدور «الديدبان» في الحياة المصرية، خاصة فى وقت الأزمات وزمن الشدائد والكوارث ليس أدل على ذلك، من موقف علماء الأزهر من الحملة الفرنسية على مصر، وخروج علماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ عمر مكرم يجاهد ويحارب الفرنسيين، وأيضا إلتجاء الأهالى إلى علماء الأزهر والاستنجاد بهم ضد صلف الحكام وقسوة الأمراء وغلظة المسئولين، كل ذلك جعل الانجليز يعملون على سحب وجذب البساط من تحت أقدام علماء الأزهر بكل الوسائل من تبشير، واستشراق ، ومدارس، ومعاهدة قبل مجيئهم إلى مصر واحتلالها وبعد ذلك أيضاً [١].

ولاشك أن هذا الموقف من الاحتلال، دفع العديد من المفكرين والعلماء المسلمين إلى اتخاذ موقف مضاد للإحتلال الإنجليزى ورموزه من المناوئين للفكر الإسلامى والمالئين للإحتلال، والمتأثرين بفكره، والداعين إليه، إذ إن وجود الإحتلال في حد ذاته كافياً لإثارة المشاعر الدينية[٢].

وإذا كان تيار الفكر الإسلامى، الذى ظهر فى مصر حينئذ ليس نمطاً واحداً أو فصيلا واحداً وإنما هو أنماط شتى وفصائل متعددة إلا أنه فى النهاية لايهدف إلا مصلحة البلاد والعباد، ويكرس نفسه لخدمة الدين ورد شبهات المتشككين ودحض آراء المتغربين وكان أول من رفع لواء هذا التيار هو جمال الدين الأفغانى، الذى جاء إلى

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول دور الأزهر وعلمائه فى صد الحملات الغربية على مصر، أنظر: محمد رجب البيومى، الأزهر بين السياسة وحرية الفكر، مرجع سابق، ص ٤٣، وما بعدها . وأيضاً شوقى الجمل، الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨، ص ١٣١- ١٦٦.

(٢) زكريا سليمان بيومى، الجماعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٣.

مصر قبيل الإحتلال الإنجليزى لها، فكون مدرسته الفكرية من رجال الأزهر ومن المثقفين المدنيين خريجى مدرسة الحقوق وغيرها، ثم غادر الأفغانى مصر، وبعد أن غادرها بقليل سقطت مصر في براثن النفوذ البريطانى، ولا ريب أن الحديث الذى أجراه عبد القادر المغربى مع الأفغانى في عام ١٨٨٩يكشف بوضوح وجهة النظر الإسلامية - في مواجهة الأفكار الأوربية والتغريب والغزو الثقافى، فقد رفض الأفغانى فكرة أخذ الحضارة الغربية ومدنية أوربا أساساً لبناء الحضارة الإسلامية الجديدة، وقال إن هذا طريق لا يوصل، وإننا معشر المسلمين إذا لم نؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير فينا، ولايمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا من هذا الطريق .. ولابد لنا من حركة دينية، فإن الحركة الدينية الصحيحة المبرأة من الزيف هى الأساس الذى تقوم عليه النهضة (١).

ويرسم الأفغانى منهاج هذه الحركة فى عناصر واضحة هى كما يلى:

١- تنقية الإسلام مما علق به من شوائب.

٢- تأليف حكومة إسلامية رائدها التعاليم الإسلامية الحقة والعدل والشورى، واختيار خير الناس لتولى الأمور والجامعة الإسلامية لا تنافى مشاعر ومصالح أهل الديانات الأخرى.

٣- مناهضة الإحتلال ، وتحرير الوطن الإسلامى عن الاستعمار والاعتماد على استرجاع قوة المسلمين في تكتلهم وتآخيهم ومناهضة الاستغلال بكل قوة والتأليب عليه من غير هوادة.

٤- طرح ما طرأ على الإسلام من عادات غريبة فى السلوك والرجوع إلى مواقف المسلمين الأول من القرآن، واستلهامهم التوجيه منه مباشرة لطبع تصرفاتهم بالطابع الإسلامى.

٥- محاربة الاتجاه الاستعماري في التفكير ، بالوقوف في وجه الشبه التى تثار والتخريجات المغرضة لنصوص مصدرى الإسلام : القرآن والسنة الصحيحة، وبيان زيفها بالأسلوب العلمى والتاريخى.

(١) راجع بالتفصيل : أنور الجندى ، عقبات فى طريق النهضة، مرجع سابق، ص ٤٩-٥٠

٦- تقريب مبادئ الإسلام من العقلية الإسلامية الحديثة والتنديد بالمثقفين الذين يصطنعون أساليب الغرب (عن علم أو غير علم) أداة لتمكين المحتل[١].

منبر العروة الوثقى:

وكان الإمام محمد عبده من أبرز أبناء مدرسة الأفغانى، وقد تعاونا في باريس على إصدار صحيفة «العروة الوثقى» بعد أقل من عامين على سقوط مصر تحت الاحتلال البريطانى المباشر[٢]، ففى ١٣ من مارس ١٨٨٤م صدر العدد الأول من العروة الوثقى، ولم تستمر طويلاً، فلم يصدر منها سوى ثمانية عشر عدداً فى خلال تسعة أشهر[٣].

صحيح أن العروة الوثقى ، صحيفة سياسية في المقام الأول[٤]، إلا أن هذا لايعنى أنها لم تؤد دوراً فكرياً وثقافياً في العالم الإسلامى، إذ أنها كانت وسيلة التوحيد بين العقول والقلوب فى مطلع النهضة ، لذا تعتبر العروة الوثقى نقطة بدء ومثال لظاهرة الصحف الثقافية العربية، فرغم اهتمامها بقضايا السياسة والمجابهة، فإنها التفتت إلى مسائل الإصلاح الدينى، والنهوض الحضارى فلفتت الإنتباه إلى الإصلاح البروتستانتى في تاريخ أوربا، واعتبره الأفغانى ظاهرة جديرة بالتأمل، كما ركز محمد عبده على أهمية السنن والقوانين الحضارية والتاريخية التى وضعها الخالق لتحديد سير التاريخ وتقرير مصائر الأمم ، إنحطاطا ونهوضا[٥].

---

(١) السابق نفسه، ص ٥١

(٢) بعد هزيمة العرابيين أمام الإنجليز، تم نفى العديد من الزعماء بعد محاكمتهم، وكان من بينهم الإمام محمد عبده، إذ حُكم عليه بالنفى إلي خارج القطر المصرى ثلاث سنوات، فأقام في بيروت مدرسا بمدرسة جمعية المقاصد الإسلامية ثم سافر إلى باريس وهناك التقى بالأفغانى الذى كان قد خرج من مصر قبل احتلالها: أنظر: مذكرات الإمام محمد عبده، سيرة ذاتية، عرض وتعليق وتحقيق، ظاهر الطناحى القاهرة، دار الهلال، كتاب الهلال رقم (٥٠٧) ماسر ١٩٩٣ ص ٢٤٨.

(٣) منير حجاب، العروة الوثقى، دراسة تحليلية لمقومات نجاح الصحافة الإسلامية، الطبعة الأولى الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ١٤ ومابعدها.

(٤) أحمد حسين الصاوى، المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة، مرجع سابق، ص ٩٦.

(٥) محمد جابر الأنصارى ، العروة الوثقى والمنار، التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة ، مرجع سابق، ص٨٠.

وبذلك تكون صحيفة العروة الوثقى قد أدت دوراً لا بأس به في الدفاع عن قضايا المسلمين وتعرية الاستعمار البغيض، وبيان أضراره ومخاطره على الأمة، وتقوية النزعة الثقافية والفكرية لدى أبناء المسلمين، يتضح ذلك من خلال وقوفنا على أهم الأهداف التى سعت إلى تحقيقهاوهى:

١- إيقاظ الروح الكامنة في النفس الشرقية، ومحاربة اليأس ، ومواجهة النفوذ الأجنبى الزاحف على البلاد الإسلامية.

٢- التماس منهج القرآن فى بناء الأفراد والمجتمعات بوصفه المنقذ الوحيد للمسلمين.

٣- تنبيه الأمة إلى ذاتيتها الأصلية التى أنشأت الحضارة الإسلامية الزاهرة والتذكير بعظمة التراث الإسلامي.

٤- محاربة الاستعمار بكل ما تملك الأمة من وسائل بمفهوم الجهاد الإسلامى.

٥- الدعوة إلى امتلاك أسباب القوة والتقدم العلمى والتمدين دون التخلى عن الجنور فى دائرة مفهوم الإسلام القائم على الرحمة والعدل.

٦- مقاومة التبعية ، والحيلولة دون الذوبان فى الأممية أو الفكر العالمى(١).

ولاشك أن صحيفة كالعروة الوثقى، تظهر في مثل هذه الظروف الصعبة التى كانت تمر بها الأمة وفي فترة من أحلك فتراتها، وعلى هذا المستوى من القوة والرسوخ، لهى أكبر لطمة على وجه الإحتلال، الأمر الذى جعل الإنجليز يحاربونها فى كل مكان ويمنعونها من الدخول إلى مصر والسودان والهند، ولما كان للإنجليز من سطوة وجبروت، وفي مصر فرضت غرامة على كل من يضبط لديه عدد من العروة الوثقى، بل حدثت حرب أخري شنتها بريطانيا عن طريق الحكومة الفرنسية بعدم منح العروة الوثقى التيسيرات البريدية التى تمنح للصحف الأخرى، الأمر الذى جعلها تتوقف(٢).

المنار على طريق العروة الوثقى:

وبعد توقف العروة الوثقى بأربعة عشر عاما، أصدر الشيخ محمد رشيد رضا

(١) أنور الجندى ، المنار، جـ١ تاريخ الصحافة الإسلامية ، الطبعة الأولى القاهرة، دار الأنصار ، ١٩٨٣، ص ١٩، ٢٠

(٢) أحمد حسين الصاوى، المجلات الثقافية المرجع السابق، ص ٩٦.

مجلته «المنار» وذلك في ١٥ من مارس ١٨٩٨ م ، ويذهب «تشارلز آدمز» إلى أن الغرض الذى رمت إليه «المنار» هو نفس الغرض الذى دعت إليه صحيفة العروة الوثقى ، وخاصة في نشر الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والدينية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافى مع التطورات الحديثة، والنظم المعاصرة، وأن الشريعة الإسلامية أداة عملية صالحة للحكم، والسعى فى القضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة فى الإسلام، ومحاربة التعاليم الضالة والتفاسير الباطلة لعقائده، ومحو الأفكار الشائعة عن القضاء والقدر، ومحاربة التعصب لمذهب من المذاهب، والتآلف بين الفرق المختلفة وترقية التعليم(١).

وهكذا أصبحت «المنار» منبراً للدعوة إلى الإصلاح، وفقا لمبادئ الإمام محمد عبده، بل إن رشيد رضا والمنار كانا يحملان بنور عودة الوفاق بين نهج الأفغانى ونهج محمد عبده، فقد كان رشيد رضا بالإضافة إلى تعمقه المنهجى في الفكر الإسلامى، واهتمامه بالجوانب الحضارية في مسار النهضة من تربوية وتشريعية، عليما بالسياسة إلى حد كبير من خلال دوره في كفاح سوريا السياسى قبل مجيئه إلى مصر(٢) ويرى أحمد طربين أن مدرسة المنار الإسلامية الإصلاحية بزعامة رشيد رضا وما نشرته من مقالات كان لها أثر في تطور التفكير الدينى المصرى فى فترة ما بين الحربين، كما قامت بدور رئيسى فى خدمة التيار العربى فى مصر(٣).

إذ إن الفترة التى كانت بين الحربين العالميتين تعتبر من أخصب فترات الحياة الثقافية، والفكرية والأدبية في مصر، وكان ذلك نتيجة طبيعية للنهضة الوطنية الكبرى التى بدأت بثورة ١٩١٩ ، والتى ظهر أثرها فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية(٤) ومعلوم أن الأزهر وعلماءه هم الذين كانوا يقفون وراء ثورة ١٩١٩ وأن الثورة انبعثت من الأزهر فأحدثت الشرارة الأولى في الشعب، ثم اندلع لهيبها فى سائر المدن والقرى، ولم يكن احتضان الأزهرلثورة ١٩١٩ حدثا غريبا على تاريخه، أو شيئا بعيداً عن رسالته فى محاربة الطغيان(٥).

---

(١) تشارلز أدمز، الإسلام والتجديد ، ترجمة عباس محمود، القاهرة، ١٩٣٥ ص ١٧٢،١٧٣.

(٢) محمد جابر الأنصارى، مرجع سابق، ص ٨٢،٨٣.

(٣) عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤) أحمد حسين الصاوى، مجلة الهلال، العدد (٢) فبراير ١٩٩٤ ص ١٠٤.

(٥) محمد رجب البيومى، الأزهر بين السياسة وحرية الفكر مرجع سابق، ص ١٢٣، ١٢٤.

وظل الأزهر يحمل مشاعل العلم والفكر فى الأمة، وإن كانت مرت عليه عصور، ضعفت فيها قواه أو قل فيها نتاجه، ولاشك أن الأزهر رغم ما حل فيه من وهن وجمود، كان دائماً يخرج العلماء الذين ينافحون عن الفكر الإسلامى، الأمر الذى يدعو المرأ إلى أن يقرر أنه ما خلا عصر أو دهر إلا وتخرج من الأزهر علماء فى الفقه واللغة والفكر ينفون عن الدين تحريف الغالين، وتشكيك المتشككين، وتأويل الجاهلين، الأمر الذى جعل المناخ الذي نشأ فيه زعماء مصر وقادتها من المفكرين الإسلاميين والسياسيين الوطنيين، مناخاً إسلامياً، فكان الأزهر -ولايزال- المثال البارز على قوة المنهل الإسلامى في الفكر المصرى، ولقد احتكر الأزهر المعرفة والتوجيه- منذ بعيد- للشعب المصرى، واستمر تأثيره إلى ما بعد الإحتلال البريطانى لمصر.(١)

ولقد ظل التيار الإسلامى الذى يشمل الوطنيين والأزهريين وغيرهم العلامة البارزة في حياة الأمة حتى ثورة ١٩١٩، ولكن هذا التيار خرج من الثورة، وقد خفت صوته، وقل نشاطه، ولكن ظل قائما على الساحة الفكرية، يحمل تراثاً فكرياً ضخماً، وينضوى معه ثلة من الأدباء والعلماء والمفكرين، ولكن هذا الجمع أو هذه الجمهرة من أنصار تيار الفكر الإسلامى لم تكن لهم هيئة تجمعهم وتنظمهم، هنا بدأ التفكير فى وسيلة تجمع هذا التيار، ويدافعون من خلالها عن هويتهم وفكرتهم فظهرت مجلة الفتح لمحب الدين الخطيب وبعدها ظهرت جمعية الشبان المسلمين، وبعدها ظهرت جماعة الإخوان المسلمين.. لترث هذا الميراث الثقافى والفكرى الذى خلفه التيار الإسلامى بدأ من جمال الدين الأفغانى مروراً بمحمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد ورشيد رضا وعبد العزيز جاويش وغيرهم من الأعلام (٢).

واستطاع حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين أن يضع تنظيما في خدمة مشروع الأفغانى، بعد إذ كانت حركته آخذة فى الأفول، فكان ظهور الإخوان المسلمين دفعة جديدة للروح الفكرية الإصلاحية وكأن البنا قد أدرك إلى أى مدى كانت الحركة

(١) أنظر: عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، الطبعة الثانية عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، رقم(٢٦)، يونية ١٩٨٥، ص١٧ وأيضا سعيد اسماعيل على، دور الأزهر ، فى السياسة المصرية، كتاب الهلال، القاهرة ورقم (٤٣١) نوفمبر١٩٨٦، ص ٥٧

(٢) أنور الجندى عبد العزيز جاويش، من رواد التربية والصحافة والاجتماع ، أعلام العرب، رقم (٤٤)، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ص ٣-٩.

الإصلاحية التى بدأها الأفغانى، قد بدأت تضعف ، فجاء البنا ليكمل مشروع الأفغانى الإصلاحى الكبير [١].

وبذلك استطاع البنا أن يستفيد من تراثنا الثقافى والإسلامى والفكرى الذى تركه لنا هؤلاء المصلحون، بعد أن درسه وتأثر به، واستفاد من أسلوب الأفغانى فى العمل السياسى، ومن أسلوب محمد عبده: الاهتمام بالتربية، وحملت جماعة الإخوان جل أفكار التيار الإصلاحى الإسلامى، ونفس غايته، وهم أنفسهم امتداداً له [٢].

ثانيا - التيار التغريبى:

عمل الإحتلال الإنجليزى قبل وبعد مجيئه على تغريب الشعب المصرى، وذلك عبر وسائل عديدة، تم الحديث عنها قبل قليل والتغريب هو الاتجاه الذى يعبر فيه أصحابه عن ضرورة جعل «الغرب» الحضارى هو المنبع الرئيسى الذى يجب أن تعب منه الثقافة العربية المعاصرة ولا نبع سواه[٣] وهناك دراسات عديدة تؤكد على وجود علاقة وثيقة بين الاستعمار الأوربى من ناحية، ونشأة ونشاط اتجاه التغريب فى العالم الإسلامى الذي خضع لهذا الاستعمار من ناحية أخرى، والأمر ليس في حاجة إلى التأكيد طالما أن ممثلى السلطات الاستعمارية كانوا يصرحون في وضوح تام بأن محاولاتهم الهادفة إلى طبع العقلية الشرقية بطابع التفكير الغربي، وهنا نذكر مقولة كرومر، في هذا الصدد يقول : «يجب أن نتقدم بكل حذر ممكن.. ويجب أن نتذكر أن واجبنا الأول هو إقامة نظام تعليمى يسمح لجمهور السكان المسلمين وغيرهم على السواء، بأن يكون محكوما وفقاً للأخلاق المسيحية»[٤].

---

(١) أنظر فرانسو بورجا، الإسلام السياسى، صوت الجنوب، ترجمة، لورين زكريا، الطبعة الأولى القاهرة، دار العالم الثالث، ١٩٩٥ ص ٦٢.

(٢) عثمان عبد المعز رسلان، التربية السياسية، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٣) أنظر بالتفصيل ، سعيد اسماعيل على، الفكر التربوى العربى الحديث، الطبعة الأولى عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، رقم (١١٣)، مايو ١٩٨٧ ص ١٧٥.

(٤) إبراهيم غانم البيومى ، الفكر السياسى ، مرجع سابق، ص ٦٠.

وهذا هو التغريب فى أبسط مفاهيمه ، فهو يعنى حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب وغرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين، حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم، وحتى تجف في نفوسهم موازين القيم الإسلامية.. ويتطلب تحقيق ذلك إيجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة، وذلك بإثارة الشبهات، وتحريف التاريخ الإسلامى ومبادئ الإسلام وثقافته، وإعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله، وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الإنسانية، ومحاولة إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماض هذه الأمة، أو محاولة انتقاص القيم الإسلامية ، والغض عن مقدرة اللغة العربية ، وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية(١).

ولاشك أن التيار التغريبى الذي ظهر فى مصر في أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت جذوره ممتدة فى التاريخ المصرى الحديث، فنرى بعض الباحثين يرجع تأثير الفكر المصرى بالأفكار والمؤثرات الغربية إلى أواخر القرن الثامن عشر، وذلك مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر ، ورغم قصر الفترة الزمنية لها، وإن كان لايخفى أن أسلوب الفرنسيين فى التعامل مع المصريين توخى الحذر من الاقتراب من المقدسات الإسلامية خاصة في عهدى كليبر ومينو الذى أعلن إسلامه وأخذ يرصع كل منشوراته بكلمات إسلامية كالبسملة أو آيات من القرآن الكريم(٢).

ولكن المحاكاة الحقيقية للغرب فى مصر بدأت فى عهد سعيد وخلفه إسماعيل فى الستينيات والسبعينيات من القرن التاسع عشر، حيث بدأ النفوذ الأوربى يتسرب إلى مصر، وسمح له الحكام بالتوغل فى معظم الحقول الرسمية وغير الرسمية، وأتى الوافد الأوربى بطرق شتى، رجال مغامرون ومؤسسات اقتصادية، من بنوك وبيوت إقراض ورهونات وقروض للدولة كالأطواق الحديدية وبعثات تبشيرية تتحسس الطريق

---

(١) أنور الجندى، أهداف التغريب فى العالم الإسلامي، الطبعة الأولى قضايا إسلامية معاصرة، القاهرة، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر، ١٩٨٧ ص ١٣ .

(٢) أنظر بالتفصيل ، أحمد حسين الصاوى، فجر الصحافة فى مصر، دراسة فى إعلام الحملة الفرنسية، الطبعة الأولى القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ٩١ ومابعدها.

لتكوين أقليات مصرية تدين بالولاء للغرب، ثم المحاكاة في وسائل العيش وفى طراز المسكن والملبس والعادات[1] وينبغى أن نقرر هنا أننا في هذه المرحلة من التغريب كنا نحاكي نماذج ولم نحاك فكراً وعقائد ، ولذلك كان يسهل الإمساك والإمتناع عن المحاكاة، أو يسهل الحكم على المحاكاة بالمروق، لأن معيار الإحتكام السائد في المجتمع بقي كما هو تقريبا، وحتى ما أخذناه من نظم فى السياسة والإدارة ، إنما أخذناه أساليب وتصميمات وليس فكراً ومعتقداً[2].

ولكن في خواتيم القرن الماضى وأوائل القرن العشرين، بدأ يروج الفكر الغربى متمثلا فى نظرياته السياسية والاجتماعية والفلسفية فلم يعد الأمر تنظيماً أو نمطاً يؤخذ ، أو مطلبا يستعار، ولكنه صار مذاهب ونظريات وأدبا وشعراً ، صار أساساً نظرياً وعقليا ووجدانيا متكاملا، ولم يعد الأمر محاكاة فى بناء بيت أو أسلوب حياة، أو في تأسيس نظام، أو استعارة لأسلوب أو رتقاً لفتوق، ولكنه صار إنشاء لأرض حضارية وفكرية جديدة، وغرساً جديداً ، وأسساً جديدة للتقويم وأنماط التفكير[3] ولا يستطيع الباحث أن يقطع ببداية تأثير التغريب على الفكر المصرى المعاصر ، ولكن يمكن اعتبار ما كتبه المحامى المصرى مرقص فهمى عام ١٨٨٤ تحت عنوان «المرأة فى الشرق» بداية التأثير الغربى في التفكير والثقافة المصرية، وهذا ما يؤكده كلام الدكتور سامى عزيز[4].

سياسة «المقطم» التدميرية:

ثم ظهرت صحيفة المقطم، لا على أنها علامة على تأثير التيار التغريبى على الثقافة في مصر فقط، ولكن لتدعو إلى تكريس الاحتلال ومناصرته، وبث الدعاية للإنجليز وشد أزرهم، وقد أعلن ذلك أصحابها بصراحة على صفحاتها قائلين: إن غرضهم السياسى من تأسيس المقطم، معلوم ظاهر، وهو تأييد السياسة الإنجليزية، ويتضح ذلك أكثر من خلال وقوفنا على سياسة المقطم وتتمثل فى :

١- أن الاحتلال احتل هذا القطر، ولايخرج منه إلا بإرادته أو بقوة تفوق قوته.

(١)،(٢)،(٣) طارق البشرى الحركة السياسية، ص٣٢، ص ٣٣ ،ص ٣٤

(٤) سامى عزيز، الصحافة المصرية، وموقفها من الاحتلال الانجليزى ، الطبعة الأولى القاهرة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ص ٢٦٩

٢- أنه لا نفع للمصريين من معاندتهم ومعارضتهم أو الإستعانة بالدول الأخرى عليهم لأن المعاندة والمعارضة تضران بالمصريين ولا تخرجان المحتلين من القطر.

٣ - إن مصلحة المحتلين توافق مصلحة المصريين، ولذلك يقصد المحتلون إصلاح حال المصريين، وتنظيم أمور مصر، فلذلك يقضى حسن السياسة علينا بمسالمتهم ومحاسنتهم ومعاونتهم على الإصلاح(١).

وهكذا فإن صحيفة المقطم لأصحابها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس والتى صدرت ١٨٨٩ وقبلها مجلتا المقتطف العلمية والتى صدرت ١٨٨٥ و«اللطائف» التى صدرت ١٨٨٦ ذات الاتجاه الأدبى تمثل حلقة من حلقات التيار التغريبى، وتكتلا واستقطاباً لجبهة الاحتلال الإنجليزى ، لأن التيارات المتصارعة آنذاك فى مصر اتخذت شكل الاستقطاب، فمثلا كانت المدرسة الفرنسية مركزها «الأهرام»حيث يتكتل أولئك الذين يدينون بالإنتماء الفرنسى، ويتبعها من السوريين الذين ينتمون أساساً لمذهب الكاثوليك، والقطب الذى كانت تمثله «المقطم» كان يتمثل فى البروتستانت الذين كانت لهم جذور من ثقافة إنجليزية، بل إن أصحاب المقطم قد نشأوا فى أكبر مدرسة غربية تأسست فى الشرق وهى الكلية الأمريكية فى بيروت(٢) وتجدر الإشارة هنا إلى أن دعاة التيار التغريبى كانوا من أصحاب الثقافة الأوروبية الذين كان يسميهم خصومهم وقتذاك بـ«المتفرنجين» بعضهم من الشاميين المسيحيين. الذين استقروا فى مصر، وبعضهم من المصريين الذين تلقوا دراستهم فى أوربا أو فى المدارس الأوروبية، ومدارس الإرساليات الدينية التى كان عددها فى ازدياد مطرد(٣).

---

(١) أنظر بالتفصيل الاتجاه الصحفى الموالى للاستعمار البريطانى: جمال النجار، صحافة الاتجاه الإسلامى في مصر منذ مطلع القرن العشرين حتى نشوب الحرب العالمية الأولى، رسالة ماجستير - كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر ١٩٨٦ ص ١٣ ومابعدها.

(٢) أحمد حسين الصاوى، المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة، مرجع سابق، ص ٥٨ حيث يشير الدكتور الصاوي إلى حقيقة مؤسفة مفادها أن أسرة نمر عند ما خرجت من القاهرة أوعزت إلى بعض أصدقائها أن يرسلوا خلفها بطريق التهريب أثمن مجموعة من مجلدات المقطم ، بما كانت تضمه من ملاحق ، وهى غير موجودة فى دار الكتب المصرية، وهذه الحادثة من أخطر مظاهر التأييد للإحتلال فى مصر. وأنظر أيضا: سامى عزيز الصحافة المصرية، مرجع سابق، ص٩٦، ٩٧.

(٢) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية ، جـ ١ مرجع سابق، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

وأصبح تأثير التيار التغريبى ينفذ إلى المجتمع بقوة واندفاع ودون هوادة، يساعده في ذلك الاحتلال الانجليزى، ويدفعه إلى الأمام بفضل سياسة اللورد كرومر الذى نشر كتابه «مصر الحديثة» عام ١٩٠٨ يزعم فيه أن الإسلام إذا لم يكن ميتا، فإنه فى طور الاحتضار اجتماعيا وسياسيا، وأن تدهوره المتواصل حسب زعمه لايمكن إيقافه مهما أدخلت عليه من إصلاحات تحديثية بارعة، لأن التدهور كامن في جوهره الاجتماعى منذ الأصل- وهو جوهر قائم على تخصيص دور متخلف للمرأة فى المجتمع، وعلى التغاضى عن نظام الرق، وعلى جمود الشرع وقطعية العقيدة، وإنه لابديل عن التحديث الكامل بدون الإسلام»[١].

حركة التأليف بموجة التغريب:

ثم يقوم منصور فهمى بكتابة أطروحته «حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية وتطورها» عام ١٩١٣، وينهج فيها منهج النقد التاريخى المتحرر من الإلتزام بحقيقة الوحى، في تفسير سلوك النبى وعلاقاته وتشريعاته، الأمر الذى جعل الجامعة المصرية بعد أن راجعت نصوص الكتاب تستغنى عن منصور فهمى[٢] إلا أن ما كتبه ظل يمثل ضربة من ضربات التغريب ويشتد عود التيار التغريبى بعد الحرب العالمية الأولى، بسبب ملاحقة الإحتلال لأصحاب الفكر الوطنى الإسلامى، وهزيمة الدولة العثمانية فى الحرب، ويأتى عام ١٩٢٢م ليعلن كمال أتاتورك فى تركيا تمرده على قوانين الشريعة الإسلامية وتطبيقه للقوانين الغربية وفى عام ١٩٢٤ يعلن أتاتورك رسميا إلغاء الخلافة العثمانية، وفى عام ١٩٢٥م يصدر الشيخ على عبد الرازق كتاباً باسم - الإسلام وأصول الحكم «ينكر فيه الخلافة، وأنه ليس فى أصول الشريعة ما يلزم بها إلى غير ذلك من الآراء التغريبية، الأمر الذى انتهى بمؤلف الكتاب إلى المحاكمة أمام هيئة كبار

---

(١) أنظر بالتفصيل: محمد جابر الأنصارى، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربى ١٩٣٠-١٩٧٠، عالم المعرفة- الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، رقم (٣٥) الطبعة الأولى، نوفمبر ١٩٨٠،ص ١٨ وللإطلاع على رد الفعل فى الفكر الإسلامى ضد كتاب كرومر يراجع كتاب الشيخ اللبنانى مصطفى الغلاييني: الإسلام روح العصر، الذى صدر فى العام ذاته، وألف خصيصا للرد على آراء المعتمد البريطانى لمصر.

(٢) مختار التهامى، ثلاث معارك فكرية، القاهرة، دار مأمون للطباعة ، الطبعة الأولى، ص ٦٦.

العلماء، فأصدرت حكمها فى ٢٢ المحرم ١٣٤٤ هـ- ٢أغسطس ١٩٢٥ م وهو يقضى بإخراج الشيخ على عبد الرازق أحد علماء الأزهر والقاضى الشرعى بمحكمة المنصورة الإبتدائية الشرعية ومؤلف كتاب الإسلام وأصول الحكم» من زمرة العلماء[١].

وفى عام ١٩٢٦م أصدر طه حسين كتابه «فى الشعر الجاهلى » مستخدما منهج الشك الديكارتى والنقد التاريخى الأوربى في غربلة الروايات والنصوص الدينية- بما فى ذلك آيات القرآن - مما طرح فكرة: نقد القرآن ونقضه من وجهة نظر البحث العلمى، ومن أقوال طه حسين فى هذا الكتاب الذى صودرت نسخة: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الإسمين فى التوراة والإنجيل لايكفى لإثبات وجودها التاريخى»[٢].

وقد أحدث كتاب طه حسين «فى الشعر الجاهلى» دوياً كبيراً فى الأوساط العلمية والفكرية والأدبية، وقام العديد من العلماء والمفكرين بالرد عليه وتفنيده، وبيان ما فيه من أخطاء علمية وتاريخية فادحة، ويذكر أنور الجندى أن هذا الكتاب كان له عدة أهداف منها:

١- محاولة تأكيد نظرية مسمومة كتبها المستشرق اليهودى «مارجليوث» ملخصها أن الشعر الجاهلى موضوع جله، إن لم يكن كله بعد الإسلام، والهدف هو تحطيم الدعائم التى يقوم عليها تفسير الألفاظ العربية الموجودة فى القرآن الكريم..

٢- دعوى أن المسلمين قضوا على الفكر السابق للإسلام.

---

(١) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، جـ ٢ مرجع سابق، ص ٨١.

(٢) محمد جابر الأنصارى، تحولات الفكر والسياسة فى الشرق العربى، مرجع سابق ص ٢٢ وانظر أيضا أحمد بهجت ، جريدة الأهرام، يوم ٢٢، ٢٣، ٢٤، ١٩٩٤/١/٢٤م ص٢ فى عموده المتميز «صندوق الدنيا» حيث يذكر أن طه حسين كتب كتابه بعد أن عاد من أوربا وهو يحمل داخله انبهاراً خاصاً بحضارة الغرب وثقافته!

٣- الدعوة إلى تخلى الأديب عن العاطفة الدينية والقومية ودراسة الأدب كما يدرس العلم الطبيعي، وعلم الحيوانات والنبات [١].

صحيح أن طه حسين قام بتعديل بعض النقاط فى كتابه، وقام بتغيير عنوان الكتاب نفسه إلى «فى الأدب الجاهلى» إلا أن هذا الكتاب كان يمثل حلقة كبرى من حلقات التيار التغريبى الذى لم يتوقف عند هذا الحد، بل إننا نرى كاتبا أخر وهو سلامة موسى يصدر فى العام التالى وهو عام ١٩٢٧م كتابه «اليوم والغد» الذى يقول فى مقدمته «كلما ازدت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامى، أغراضى في الأدب كما أزاوله، فهى تتلخص فى أنه يجب علينا أن نخرج من أسيا وأن نلتحق بأوروبا، فإنى كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له وشعورى بأنه غريب عنى، وكلما زادت معرفتى بأوربا زاد حبى لها وتعلقى بها، وزاد شعورى بأنها مني وأنا منها هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سرا وجهرة، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب»[٢] فسلامة موسى بكتابه هذا بلغ الذروة، ووصل بتيار التغريب إلى منتاه إن لم يكن جاوز هذا المنتهى، فالرجل صراحة يريد أن يهدم شرقيتنا لأن «الرابطة الشرقية سخافة» ويريد أن يهدم عروبتنا لأنه يقول: لنا من العرب ألفاظهم فقط، ولا أقول لغتهم، بل لا أقول كل ألفاظهم ، فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية، وهى لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية راقية» ويريد سلامة موسى أن يهدم الإسلام والتدين فهو يقول: نحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان» ويقول في خاتمة

(١) أنظر تفاصيل محاكمة فكر طه حسين: أنور الجندى، محاكمة فكر طه حسين، القاهرة،د ار الاعتصام ، ١٩٨٤م ص ١٤٢، وما بعدها - حيث يشير إلى أن أكثر من سبعة من الكتاب ردوا على كتاب طه حسين في كتابه ، وتقرير علماء الأزهر فى الرد على طه حسين ونعتهم له بأنه أضاع على المسلمين الوحدة والعاطفة الدينية والإيمان بتواتر القرآن، وأضاع عليهم كرامة السلف والثقة فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنظر أيضا: محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى ، القاهرة دار المستقبل العربى، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ ص ٤٨، إذ يقول عمارة: إن كتاب طه حسين يمثل ثانى عمل فكرى يكتبه شيخ أزهرى بعد كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ على عبد الرازق، والعملان يمثلان اقتحام «التغريب» لمقدسات المسلمين واستفزاز الروح المادية، للحضارة الغربية لمشاعر المسلمين.

(٢) راجع : محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية جـ٢ ، مرجع سابق، ص ٢١٣، وأيضا: سعيد إسماعيل على الفكر التربوى العربى الحديث، مرجع سابق، ص ١٧٧.

كتابه « وها نحن أولاء نجد أنفسنا الآن مترددين بين الشرق والغرب، لنا حكومة منظمة على الأساليب الأوروبية ولكن فى وسط الحكومة أجساما شرقية مثل وزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية تؤخر تقدم البلاد ولنا جامعة تبعث بيننا ثقافة العالم المتمدين ، ولكن كلية جامعة الأزهر تقف إلى جانبها تبث بيننا ثقافة القرون المظلمة، ولنا أفندية قد تفرنجوا لهم بيوت نظيفة، ويقرأون كتبا سليمة، ولكن إلى جانبهم شيوخاً لايزالون يلبسون الجبب والقفاطين ولايتورعون من التوضؤ على قوارع الطرق فى الأرياف ولايزالون يسمون الأقباط واليهود «كفاراً» كما كان يسميهم عمر بن الخطاب قبل ١٣٠٠ سنة »[١].

التغريب ورد الفعل الإسلامى:

هذا، وقد أدت قوة وغلبة التيار التغريبى إلى استفزاز الشعور الإسلامى، وإيقاظ الوعى العام، فأدى علو صوت تيار التغريب وانفراده بالساحة فى المدرسة والجامعة والمنتدى والصحافة وفى طرائق العيش ومناهج التفكير، بل وفى القيم والمعايير والأخلاق، أدى كل ذلك إلى أن يجعل الأمة تتحصن بحصنها العتيد وهو الإسلام ، وحدثت هذه الأحداث جميعا في حين كانت .. المشاعر الإسلامية للشيخ حسن البنا تتبلور ويكتمل نضجها ، فكانت العامل الحاسم الذى دفعه إلى تكوين جماعة «الإخوان المسلمين » عام ١٩٢٨ بمدينة الإسماعيلية.[٢] وهكذا، نشأت جماعة الإخوان المسلمين كرد فعل لحركة التغريب فى المجتمع المصرى[٣] وظهرت كموقف مناضل ، ضد التحدى التغريبى، ومظاهر السيطرة الغربية- على اختلاف ميادينها علي مقدرات الأمة، فلقد كانت الجوانب الحضارية في الغزوة الاستعمارية هى التحدى الرئيسى في طريق الأمة، لأن الحضارة الغربية، بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الإسلامية، بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معاً[٤] ويشير «ليونارد بايندر» إلى أن الإخوان المسلمين قامت كاعتراض على أنظمة الحكم غربية

---

(١) السابق نفسه، ص ٢١٧.

(٢) محمد عمارة، الصحوة الإسلامية والتحدى الحضاري، مرجع سابق ، ص ٤٨.

(٣) عبد العظيم رمضان، الإخوان المسلمون والتنظيم السرى القاهرة، دار روز اليوسف ، ١٩٨١، ص٢٥

(٤) حسن البنا، مجموعة الرسائل، رسالة بين الأمس واليوم، مرجع سابق، ص ١٤٠

الطراز وإلى أن الإخوان المسلمين أصبح لهم عند ظهورهم قاعدة جماهيرية واسعة النطاق [١].

ويذهب الدكتور محمد عمارة إلى أن جماعة الإخوان المسلمين نشأت كموقف مناضل ، ضد التحدى الغربى الحضارى أولاً، باعتبار أن الانتصار الإسلامى على جبهة الصراع هذه هو السبيل لإنقاذ النفس المسلمة وتسليمها بالإسلام ، كى تستطيع تحقيق النصر على الحضارة الغربية فى ميادين الفكر والثقافة والسياسة والاقتصاد[٢].

ثالثا- التيار القومى العربى:

فى الواقع إن انتماء مصر العربى ليس موضع شك، فهى قد أخذت اللغة العربية فى أعقاب الفتح العربى الإسلامى، وتحولت بالتدرج إلى الإسلام، كما وفدت إليها على مر العصور كثير من القبائل التى امتزجت بمضي الوقت بسكانها وتبنت من خلالها كثيراً من العادات والتقاليد والأساليب الحياتية العربية التى أصبحت جزء لا يتجزأ من الحياة العامة للمجتمع المصرى بالإضافة إلى الدور الهام الذى لعبته مصر فى نشر وإثراء الثقافة العربية [٣] فبدخول الإسلام إلى مصر امتزجت الحياة المصرية بالإسلام ولغته العربية، وامتزج الإسلام ولغته أيضا في الحياة المصرية، فصارت اللغة العربية هى لغة المصريين والإسلام دينهم الرسمى وأصبحت مصر مع مرور الأيام وتعاقب الدهور والأزمان موئل العروبة وحصن الإسلام المنيع، ولم نقف على مصدر علمى يثبت أن فى مصر قد ظهر فى أى وقت من الأوقات أو فى أى مرحلة من مراحل تاريخها الطويل أية ردة عن الإسلام وعقيدته لأن الإسلام قد صهر جميع المصريين فى بوتقته، وأخرج منهم أمة لا تعتز إلا بدينها، ولا تفخر إلا بعقيدتها حتى الذين ظلوا على ملة غير ملة الإسلام، عاشوا بين إخوانهم المصريين المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، لا تستطيع أن تفرق بين أحد منهم لأن الكل يعيش فى ظل الإسلام.

---

(١) ليوناردو بايندر ، الثورة العقائدية فى الشرق ، ترجمة خيرى حماد، الطبعة الأولى القاهرة، دار القلم، ١٩٦٦، ص ٧٨.

(٢) محمد عمارة، الصحوة الإسلامية، المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٣) أنظر: عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، مرجع سابق، ص ٤٦، ٤٧.

صحيح أنه كانت تظهر فى بعض الولايات الإسلامية دعوات ونعرات شعوبية[١] بعد أن دخل فى الإسلام كثير من الشعوب غير العربية، وحتى هذه الدعوات كان يشعلها ويذكيها من فى قلوبهم مرض، والمنافقون، ولكن هذه الدعوات ما كان لها أن تحدث كل ما تعمل له وترنوا إليه فى ظل دولة الإسلام العاملة به وله، والمحتكمة إليه، ولكن بعد أن ضعفت شوكة المسلمين وقلت هيبة الخلافة الإسلامية في أواخر زمن العثمانيين وكثر المتآمرون عليها، والمتربصون بها، ظهر تيار غريب فى دولة الخلافة العثمانية يفرق بين العرب والترك وهم جماعة «الاتحاديين[٢]» واستأثر هؤلاء الاتحاديون بالسلطان والنفوذ وخاصة بعد أن قاموا بعزل السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩م، وعز عليهم أن يعطوا العرب حقهم في الحرية والعدل والمساواة، وقل تعويل الاتحاديين على العرب فى الإدارة والحكم، وعولوا على العناصر التركية، وبها فتحوا الباب لحركة عنصرية جديدة، وغالوا فى ذلك حتى أحفظوا صدور العرب عليهم فصاروا ينصرفون جملة عنهم ويتجهون وجهة « قومية عربية»[٣].

ولقد ساند الاستعمار هذه الدعوات بل عمل على إيجادها ، هو والقوى الأخرى المعادية للإسلام والمسلمين وعلى رأسها اليهودية والصهيونية العالمية، فهؤلاء هم الذين أوجدوا التيار الداعى إلى «الطورانية» فى تركيا كبديل عن الجامعة الإسلامية، ولقد كان النفوذ الغربى قد هيأ «الاتحاديين» منذ وقت بعيد من خلال المحافل الماسونية للدور الذى سيقومون به لتمزيق الدولة العثمانية والقضاء على ترابط الإسلام والعروبة، فكانت الدعوة إلى «الطورانية» التى تعلى من شأن الأتراك وتزرى من شأن العرب، الأمر الذى جعل العرب يتخوفون من إخوانهم الأتراك، ويعملون للانفصال عنهم والإلتفات إلى رابطة عربية تجمعهم، وهذا ما كان يبتغيه الاستعمار، وهو أن يفرق بين المسلمين

(١) الشعوبية: حركة ظهرت فى القرن الثالث الهجرى، وهي أن يزهد فريق من الناس فى نسبه الإسلامى، مؤثرا عليه معينة خاص، ونسبه القومى راجع: محمد الغزالى حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربى، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧، ص ١٦٦، وما بعدها.

(٢) والاتحاديون هم أنصار جمعية الاتحاد والترقى، وتركيا الفتاة، والتى نشأت فى سالونيك بدعم وتخطيط من يهود الدونمة، وكان من أبرز رجالها كمال أتاتورك، الذى ألغى الخلافة العثمانية، وأعلن عن علمانية تركيا عام ١٩٢٤ انظر: أحمد سويلم العمرى، معجم العلوم السياسية الميسر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ص ٦٢، بتصرف.

(٣) أنظر التفاصيل: محمد عبد الغنى حسن، صراع العرب خلال العصور، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص ٩٩.

ويجعل الأتراك يرفعون راية التركية، والعرب يرفعون راية العروبة والكل يتعصب لدعوته[١] وقد برز إلى الوجود أول كيان سياسى يدعو إلى «العروبة» وهو حزب اللامركزية والحركة الإصلاحية والمؤتمر العربى فى باريس، وقد تأسس الحزب اللامركزى في مصر عام ١٩١٢، أما الحركة الإصلاحية فقد قامت فى بيروت[٢].

وأخطر ما فى هذه الدعوات هو تنصلها من الإسلام وابتعادها عنه وهذا ما أعلنه مؤسسو حركة القومية العربية بأن «الرابطة الدينية» عجزت دائماً عن إيجاد الوحدة السياسية[٣]. وعلى الجانب السياسى وجد العرب أنفسهم إزاء سياسة الاتحاديين يقفون ضد دولة الخلافة في الحرب العالمية الأولى على أمل أن تعطى انجلترا الفرصة للعرب بأن يشكلوا خلافة عربية وإعطائهم الاستقلال إذا ما انتصر الحلفاء فى الحرب ، وانتهت الحرب بانتصار الحلفاء، وأدرك العرب قيمة الوعود الاستعمارية التى لم تؤلب العرب على الأتراك- وهم أخوة فى الإسلام - إلا لمصلحة ذاتية ليس للعرب فيها حظ ولا نصيب ، ولم يأخذوا من المستعمرين إلا الخداع والسراب[٤].

وهذا يؤكد ما ذهب إليه فريق من الباحثين على أن الدعوة للقومية العربية والفكر الذى تبنته، نتاج غربى لا صلة له بالفكر السياسى الإسلامى، وأن هذه الدعوة إن هى إلا محاولة للبحث عن هوية جديدة لسكان الولايات العربية فى الدولة العثمانية بعد أن أصاب الفتك والانحلال هذه الدولة، وتعرضت ولاياتها العربية للغزو العسكرى الأوروبى[٥].

والذى لا شك فيه هو أن الفكر القومى العربى رافق تطور الأمة العربية، وكان وليد

---

(١) راجع: أنور الجندى، العروبة والإسلام، القاهرة، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٩٧٦، ص ١٨٥ ومابعدها.

(٢) عبد العزيز رفاعى، أصول الوعى القومى العربى، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص ٧٨،٧٩، وانظر: ابراهيم العدوى، قادة التحرير العربى فى العصر الحديث، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٤، ص ١٥٩ ومابعدها وأيضا: عبد العظيم رمضان، الغزوة الاستعمارية للعالم العربى وحركات المقاومة ، القاهرة، دار المعارف ، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ ص ٢٣.

(٣) عبد العزيز رفاعى أصول الوعى القومى العربى، مرجع سابق، ص ٨٠.

(٤) محمد عبد الغنى حسن، صراع خلال العصور، مرجع سابق. ص ١٠٥

(٥) راجع: سعيد إسماعيل على، الفكر التربوى العربى الحديث، مرجع سابق، ص ١٣٠

الظروف التاريخية التى عاشتها الأمة، وأن الفكر العربى أخذ أشكالا واتجاهات متعددة بتعدد المشكلات التى واجهها[1].

ولكن يذهب أحد الباحثين إلى أن معظم دعاة الجامعة العربية كانوا من دعاة الجامعة الإسلامية قبل الحرب العالمية الأولى، أو من زعماء الحركة العربية الذين كانوا يتصورونها تصوراً إسلامياً ويعملون لنقل الخلافة إلى العرب، وأن الذي يقرأ ما كتبه هؤلاء يحس أن الفكرة الإسلامية لا تغيب عن تفكيرهم حين يتكلمون عن العرب وعن الجامعة العربية[2] ومهما يكن من أمر، فإن العروبة والإسلام اقترنا من أمد بعيد، في حضارة واحدة وتاريخ مشترك، وشعر العالم كله بهذا الرباط القوى الجامع، فهو إذا تصور الإسلام، لا يستطيع أن ينسي العرب الذين آمنوا به وطوفوا أرجاء العالم برسالته، وهو إذا تصور العروبة لا يستطيع أن ينسى الدين الذى أعلى من شأنها وخلد أدبها وجمع من شتاتها دولة قدمت للإنسانية أزكى المثل وأرجح القيم[3].

موقف حركة الإخوان من القومية العربية:

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن هو: ما موقف جماعة الإخوان المسلمين من تيار القومية العربية؟ هل تؤيده أم تعارضه؟ ولكى نقف على إجابة شافية وكافية لهذه التساؤلات ينبغى أن نعود إلى ماكتبه مؤسس الجماعة حسن البنا فى هذا الصدد. فنراه يقول: والعروبة أو الجامعة العربية، لها في دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى، وشعبه المتخير، وبحق ما قاله صلى الله عليه وسلم: «إذ ذل العرب ذل الإسلام» ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها، وإن كل شبر أرض في وطن عربى نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا، فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق في أنفسنا أبداً معنى الوحدة العربية الإسلامية التى جمعت القلوب على أمل واحد وهدف واحد وجعلت من هذه الأقطار أمة واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون، ومن

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٢) راجع بالتفصيل: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، جـ ٢ مرجع سابق، ص ١٠٧ومابعدها.

(٣) أنظر التفاصيل، وحديثا مسهبا وعميقا حول علاقة العروبة بالإسلام: محمد الغزالى، حقيقة القومية العربية، مرجع سابق، ص١١٨، ومابعدها.

أروع المعانى في هذا السبيل ما حدد به الرسول صلي الله عليه وسلم معنى العروبة إذ فسرها بأنها اللسان والإسلام[1].

ثم يقول الشيخ البنا: ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ولخير العالم كله، ومن ثم كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام، وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها[2] وبذلك يكون الإخوان المسلمون نظروا إلى فكرة القومية على أنها حقيقة واقعية بغض النظر عن خلفياتها والأسباب التى دعت إلى ظهورها، ولأن الموقف الحاضر لا يستدعى استرجاع الماضى بآلامه وأوجاعه فذلك لن يفيد القضية، وإنما الذى يفيدها هو النظر إليها بمنظور الإسلام، الذى لايفصل العروبة عن الإسلام ولا يفصل الإسلام عن العروبة.

وبذلك يمكن القول بأن الإخوان في موقفهم من تيار القومية العربية يعتبرون امتداداً لموقف رشيد رضا والكواكبى وشكيب أرسلان وغيرهم من المفكرين العرب الذين يمزجون ويربطون ربطاً وثيقاً بين الإسلام والعروبة.

رابعا- التيار القومى المصرى:

إلى جانب ذلك التيار القوى الغلاب الذى كان ينادى بوحدة الشعوب الإسلامية، ويستنهض الهمم باسم الإسلام، كانت هناك دعوة - فى مصر- ناشئة تنادى بالقومية المصرية، وتبث الشعور بالوطنية الإقليمية فى الأمة التى تقوم- حسب تصورهم- على الجنس لا على الدين، منادية بقصر الاهتمام على المصالح المصرية ومعالجة مشكلاتها مستقلة عن مشاكل الدولة العثمانية والأقطار الإسلامية[3].

وكان المبشرون بهذه الدعوة الجديدة فى مصر متأثرين تأثراً واضحاً بالتفكير

(١) أنظر : حسن البنا، مجموعة الرسائل، دعوتنا فى طور جديد، مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٧٦، والبنا يرفض القومية التى تقام على عصبية الدم وعنصرية الجنس، فيجعلون ذلك أساس وحدتهم ورمز جامعتهم، ويحاكون مطالبهم من خيوط هذه الوحدة وتلك الجامعة، وينسوا أن الناس لآدام وآدم من تراب وأيضا يعارض دعاة القومية الذين يفهمون القومية أنها الحدود الجغرافية والرقعة الأرضية ، ويقول: إن كل ذلك لا ينفع والإسلام دين شامل جاء الإنسانية بكل ما تحتاج إليه من النظم والقوانين الكلية ووصف لها طريق السعادة فى بيان ووضوح. أنظر: حسن البنا، «جريدة الإخوان المسلمين» الأسبوعية العدد (٢٩) ٨ ذى القعدة ١٣٥٢ هـ، ص٢٢.

(٣) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية جـ١، مرجع سابق، ص ٥٠.

الأوربى كما يبدو من خطبهم وكتاباتهم وشعرهم وعن ذلك يقول عبد العزيز جاويش: إن الشعور بالوطنية اصطلاح أفرنكى انتقلت بذوره إلى الشرق من مفاهيم العلوم العصرية وأصول المدنية الحديثة التى اهتدى إليها أهل الغرب»(١).

ولاشك أن التيار الفكرى الذى أصبح ينادى بالقومية المصرية لم يكن على نمط واحد في التعبير والتفكير، فقد كانت هناك مدرسة مصطفى كامل التى تنادى بالاهتمام بالوطن المصرى لكن لم يفهموا أن هذا الاهتمام يتنافي مع دينهم وعقيدتهم، وفي ذلك يقول مصطفى كامل: قد يظن بعض الناس أن الدين ينافى الوطنية، أو أن الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية ولكنى أري أن الدين والوطنية توأمان متلازمان ، وأن الرجل الذى يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حباً صادقاً ، ويفديه بروحه وما تملك يداه(٢)، بهذا الكلمات يعبر مصطفي كامل عن مفهوم الوطنية تعبيراً سليماً ، لا يتنافى مع أصول الدين أو مع طبائع البشر، في حين أنه كانت هناك مدرسة حزب الأمة وصحيفة الجريدة بقيادة أحمد لطفى السيد الذى يحارب فكرة الجامعة الإسلامية ، ويدعو إلى أن يقصر المصريون إهتمامهم على مصالح مصر، ويحصروا تفكيرهم فيما يعود عليها بالنفع، ويصور الوطنية على أنها المصلحة المشتركة التى تجمع بين المواطنين، إذن فالداعون إلى التيار القومى المصرى والجامعة المصرية قسمان: قسم يدعو إليها وإلى الجامعة الإسلامية فى آن واحد، ولا يرى تعارضا بينهما، «فاهتمام الفرد بمصالح أخيه وابن عمه لا يعني تفريطاً في مصالحه» وقسم آخر ينكر الجامعة الإسلامية والرابطة العثمانية ويهاجمهما في عنف ويقيم الجامعة القومية على أساس من المصلحة المشتركة وحدها، وهؤلاء يعنون بالمصريين القاطنين فى مصر(٣).

وما إن نشبت الحرب العالمية الأولى حتى تلاشى أثر القسم الأول الذى ينادى بالقومية المصرية المرتبطة بالجامعة الإسلامية، وعلا صوت القسم الآخر، ووجد تشجيعا من الاحتلال، وتقوية له لاستخدامه فى محاربة التيار العربى، وتطبيقا للقاعدة البريطانية المعروفة في إنعاش القوميات المحلية لضرب امكانية التجمع العربى بعد أن تم لها بعد الحرب السيطرة على العالم العربى وتقسيمه(٤).

---

(١) صحيفة العلم ، العدد الأول، ٧ مارس ١٩٦٠، نقلاً عن المرجع السابق، ص ٥١.

(٢) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، مرجع سابق ، ص ٦٥.

(٣) السابق نفسه، ص ٨٩، ٩٠.

(٤) عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، مرجع سابق، ص ٤٢.

إذن فسياسة الاحتلال قامت على التخلص من أنصار الجامعة الإسلامية وتيارها الفكرى وذلك بتشجيع التيار القومى العربى الكاره للخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية، وعندما يتم لها ذلك يتجهوا إلى الناحية الأخرى فيشجعوا التيار القومي المصرى الكاره للعرب والجامعة العربية ويدعموه فإذا ما تم لهم ذلك، استطاعوا أن يحكموا سيطرتهم على فريستهم وهذا هو المقصود بعينه، وقد تم لهم ما أرادوا ، ونجحوا فى ذلك أيما نجاح، وبذلك يكون الاستعمار قد لعب دوراً كبيراً في مساندة وتشجيع الحركات القومية لتقويض هيبة الدولة العثمانية أولاً، وتفتيت وحدة العرب والمسلمين ثانيا[1].

ولقد كان لهذا القسم الثانى شق آخر، وينحصر في الاتجاه الفرعونى، فكان يركز اهتمامه ببعث المجد المصرى الفرعونى القديم كأحد الطاقات الهامة لإنكاء روح الوطنية المصرية، ولم يكن الجديد في هذه الدعوة أنها تدعو المصريين لجمعهم على الاهتمام بشئون وطنهم، فالجامعة المصرية حقيقة لايمكن تجاهلها أو إنكارها كما أنه لايمكن إنكار أن هناك جامعة إقليمية يجتمع عليها أهل كل بلد وأهل كل إقليم من أقاليم مصر نفسها، وأن هناك جامعة مهنية يجتمع عليها أبناء الحرفة الواحدة، ولكن الجديد فى الجامعة المصرية الفرعونية أنها قد أصبحت دعوة انفصالية تنزع نحو الأنانية والإنطواء على النفس ، وتعارض الجامعة الإسلامية ، والجامعة العربية وترى أن جامعة الوجود المكانى التى تربط بين من يعيشون على هذه الأرض اليوم وبين من عاشوا عليها منذ آلاف السنين هى أحق وأقوى بالرعاية من الجامعة الزمانية التى تربط بينهم وبين أبناء جيلهم ممن يعيشون في غير مصر، ومن الجامعة العقلية والثقافية التى تربط بينهم وبين أبناء لغتهم[2].

ويشتد صوت التيار المصرى الفرعونى، وتشترك بعض الصحف في تقويته ودعمه والدعوة إليه وكانت صحيفة «السياسة» لسان حال حزب الأحرار الدستوريين تقوى هذه الموجة، فيكتب رئيس تحريرها ، «محمد حسين هيكل» داعيا إلى إحياء الفرعونية، كما تبنت الصحيفة نفس الدعوة ، وتخيلت أن تكون هذه الدعوة ديناً جديداً يغزو

---

(١) أنظر بالتفصيل: إبراهيم غانم البيومى ، الفكر السياسى ، مرجع سابق، ص ٧٩ حيث يشير إلي أهمية كتاب لويس عوض، تاريخ الفكر المصرى الحديث: في الكشف عن دور الاستعمار في مساندة وتشجيع الحركات القومية في دولة الخلافة العثمانية.

(٢)محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية، جـ٢ مرجع سابق، ص ١٤٠.

بمبادئه العالم هاديا ومبشراً ليحقق للناس السعادة، والطمأنينة، كما دعت الصحيفة نفسها إلى «فن» مصرى النزعة صريح في مصريته يضاهى المذاهب الذائعة فى أوروبا(١).

ولاشك أن هذا التيار الفكرى الذى يدعو إلى المصرية ويتبنى مفهوم الفرعونية ، كان لجماعة الإخوان المسلمين منه موقف اعتدالى وسطى فهم لم ينكروه كلية وإنما أنكروا منه ما قد يتعارض مع الإسلام وفى ذلك يقول حسن البنا: والمصرية أو القومية لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها في الكفاح والنضال ، إننا مصريون بهذه البقعة الكريمة من الأرض التى نبتنا فيها ونشأنا عليها، ومصر بلد مؤمن تلقي الإسلام تلقيا كريماً وزاد عنه، ورد عنه العدوان في كثير من أدوار التاريخ وأخلص فى اعتناقه وطوى عليه أعطف المشاعر وأنبل العواطف، وهو لايصلح إلا بالإسلام، ولا يداوى إلا بعقاقيره ولا يُطب له إلا بعلاجه، وقد انتهت إليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الإسلامية، والقيام عليها، فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع؟ وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لايتفق مع مايجب أن يدعو إليه رجل ينادى بالإسلام ويهتف بالإسلام؟ إننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب عاملون له مجاهدين فى سبيل خيره، وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى في سلسلة النهضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العربى العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام(٢).

موقف حركة الإخوان من تيار الفرعونية:

وعن موقف الإخوان المسلمين من الدعوة إلى الفرعونية وإحياء تراث مصر القديمة يقول الشيخ البنا: وليس يضيرنا في هذا كله أن يعنى بتاريخ مصر القديم، وبما سبق إليه قدماء المصريين، الناس من المعارف والعلوم، فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد، وفيه علم ومعرفة، ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملى يراد صبغ مصر به ودعوتها إليه، بعد أن هداها الله بتعاليم الإسلام، وشرح لها صدرها، وأنار به بصيرتها وزادها به شرفا ومجداً فوق مجدها، وخلصها بذلك مما لحق هذا التاريخ من أوضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية(٣).

---

(١) زكريا سليمان بيومى، الإخوان المسلمين، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) حسن البنا، مجموعة الرسائل ، دعوتنا في طور جديد، مرجع سابق، ص ١١٢، ١١٣.

(٣) حسن البنا، المرجع السابق، ص ١١٣ وانظر أيضا: ج أ م ن ش، العدد الثالث السنة الأولى، ٢٦ سبتمبر ١٩٤٢، ص ٥.

وبهذا البيان يكون البنا قد وضع النقاط على الحروف، وهذا الموقف يراه الباحث صدى لموقف مصطفى كامل والحزب الوطني الذى لم ينكر الوطنية المصرية مادامت فى إطار الإسلام ، ولا تتعارض معه، وبهذا الموقف الذى ظهر به الإخوان المسلمون وأكده حسن البنا عبر كلمته السالفة ، يكونون بذلك أحيوا فكر مصطفى كامل السياسى وأخذوا عنه، واستفادوا منه، وردوا على من يغمزون الإخوان المسلمين في وطنيتهم ، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الإسلامية مانعا إياها من الإخلاص للناحية الوطنية[١].

ولاشك أيضا أن موقف الإخوان المسلمين هذا، من القومية المصرية، يتعارض مع موقف دعاة هذا التيار الذين دعوا إليه، وتشيعوا له أمثال لطفى السيد وطه حسين، وسلامة موسى وغيرهم ممن يعتبرون الجامعة المصرية بديلا عن الجامعة العربية والجامعة الإسلامية، بل يعلنون عدم تمسكهم وولائهم لهاتين الجامعتين ويحصرون تيار الثقافة المصرية في الحدود الإقليمية الضيقة، ومن هنا فقد تصدت جماعة الإخوان، لهذا التيار مؤكدة الانتماء العربى الإسلامى لمصر، وأخذ مفهوم الوطنية المصرية عندهم بعداً متميزاً[٢]. وهنا يمكن القول إن تيارى الفكر القومى العربى والمصرى اللذان كانا قائمين فى مصر قبل ظهور حركة الإخوان كان لهما أثر واضح في تحريك كوامن التفكير المصرى وإشغال الفكر المصرى بأفكار وآراء وثقافات من شأنها أن تصقل العقل وتنميه مهما كان على هذا الأفكار من مآخذ أو تحفظات، وكان حسن البنا أحد هذا العقول المصرية التى نشأت وسط هذه التيارات الفكرية والتى استفاد منها وتأثر بها، وعندما أنشأ جماعته وأقام حركته أعلن رأيه في هذه التيارات - كما تقدم- مما يعكس من خلال آرائه وأقواله أنه أخذ عن هذه التيارات الفكرية وترك منها، وتمسك ببعضها وأنكر البعض الآخر.

خامسا - التيار الاشتراكى:

تدل الدراسات التحليلية لتطور الأفكار السياسية والاجتماعية على أن ظهور فكرة جديدة لايتم من فراغ، ولا تنشأ بمعزل عن تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ولا عن الوضع الثقافى العام وطبيعة النخبة المتعلمة واتجاهاتها في المجتمع، ورغم أنه من المؤكد أن المفكرين الاشتراكيين الأوائل قد تعرفوا على فكرة الاشتراكية عبر احتكاكهم بالمؤلفات المتعلقة بهذا الموضوع ، فإن بروز هذه الفكرة من منظور التطور الثقافى

(١) أنظر بالتفصيل ، حسن البنا، مجموعة الرسائل ، رسالة المؤتمر الخامس، مرجع سابق، ص ١٧٥ ومابعدها، حيث يذكر البنا أن موقف الإخوان من المصرية هو موقف الإسلام نفسه ثم أبان موقف الإسلام من القومية المصرية.

(٢) عثمان عبد المعز رسلان، التربية السياسية، مرجع سابق، ص ١٢٠.

العربى تأثر بعاملين أساسيين أولهما: دور «السان سيمونيين» - أتباع سان سيمون- فى مصر خلال عصر محمد على، وثانيهما: الوعى المتزايد بضرورة الحاجة إلى الإصلاح والعدل الاجتماعى اللذين عبر عنهما الشيخ رفاعة الطهطاوى في كتابه مناهج الألباب[١].

وفي عام ١٨٩٩ نرى شبلى شميل يكتب في جريدة «البصير» يبرز بؤس الفقراء ويندد بالمستغلين من الأغنياء، ثم يكشف شميل أكثر عن وجهته عندما ينشر مقالا في جريدة «المؤيد» ١٩٠٧ يرد فيه على سليم سركيس مؤكداً على أن «الإشتراكية» ليست وصمة تتطلب منه أن يدافع عن اتهام الناس له بأنه يدعو إليها[٢].

وفي أثناء الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة، كثرت الاتجاهات الفكرية في مصر فى هذه المرحلة، وظهر بشكل واضح الاتجاه والنزعة الاشتراكية، التى سادت وسيطرة على عقول بعض المفكرين، وظهر ذلك بوضوح فيما كانت تنشره صحافة ذلك الحين من مقالات متفرقة، حتى جاء عام ١٩١٣ فقام سلامة موسى بنشر كتيب عن «الاشتراكية» يرد فيه على الاتهامات التى توجه إلى هذا التيار[٣].

وفى أوائل عام ١٩١٥ صدر كتاب .. تاريخ المذاهب الاشتراكية «لمصطفى حسين المنصورى ليصبح بهذا العمل أول اشتراكى مسلم في العالم العربى ينقل صوت الفقراء . ويعلن أن في الاشتراكية علاجا للأوضاع القائمة»[٤].

وفى أعقاب ثورة ١٩١٩ تجمعت الحلقات الماركسية المصرية والأجنبية مكونة الحزب الاشتراكى المصرى ، والذى أعلن برنامجه الأول في ١٨ أغسطس ١٩٢١، وفى يناير ١٩٢٣ تقرر تغيير اسم الحزب إلى الحزب الشيوعى المصرى[٥].

وتأسس الحزب الاشتراكى الأول على يد اليهودى الإيطالى الأصل «جوزيف روزنتال» ونشر بيان الحزب موقعا بأسماء سلامة موسى وعلى العنانى ومحمد عبد الله عنان ومحمود حسنى العرابى وذلك يعنى أن قيادة الحركة الشيوعية فى مصر كانت ساقطة فى يد اليهود فى بدايتها[٦].

---

(١) أنظر بالتفصيل، على الدين هلال، التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث، القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥ ص ٥٥- ٥٧ وأيضا: سعيد إسماعيل على الفكر التربوى العربى الحديث، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٢) سعيد اسماعيل ، السابق نفسه، ص٣٠٨

(٣) لطيفة محمد سالم، مصر في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص٢٢٢- ٢٢٣.

(٤) محمد جابر الأنصارى، تحولات الفكر والسياسة ، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٥) عواطف عبد الرحمن ، مصر وفلسطين ، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٦) عثمان عبد المعز رسلان. التربية السياسية، مرجع سابق، ص ١٢١.

ولايقتصر دور اليهود في هذا الجانب على مصر وحدها بل إن اليهود خاصة والأجانب عامة هم الذين حاولوا تكوين هذه المنظمات الشيوعية في البلال العربية، الأمر الذي يوحي بأن نشاطهم موجه لخدمة الحركة الصهيونية رغم انتقاد اليهود الماركسيين للصهيونية في الظاهر ومهاجمة الدين الإسلامى، وقد ظل الأجانب يشكلون غالبية هذه التنظيمات فقد بلغ عددهم في منظمة «ايسكرا» كبرى المنظمات اليسارية ٤٠٠ من المجموع الكلى ٩٠٠ مع أن الرقم الأخير مبالغ فيه [١].

وتمكن التيار الشيوعى فى مصر من أن يستأجر بعض الصحف مثل جريدة «الشبيبة» وهى جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية، تم تحويلها إلى اشتراكية وقد صدر عددها الأول من أوائل يوليو ١٩٢٢ هذا إلى جانب النشرات السرية التى كان يصدرها الحزب، وفى مارس ١٩٢٥ استأجر الحزب رخصة جريدة «الحساب» وتم صدورها على يد رفيق جبور وكوارد الحزب الشيوعى المصرى[٢].

ولقد تم رصد تحركات هذا التيار منذ ظهوره، وقد وقعت عليه عقوبات بسبب مواقفه ، وقيامه بقيادة الإضرابات العمالية مما جعل حكومة سعد زغلول تصدر قراراً بحل الحزب واتحاد العمال، ولكن الحزب الشيوعى لم ينته بل استمرت خلاياه في معظم المدن المصرية، وظل الحزب معترفا به من قبل الدول الشيوعية، وعلى صلة بالأحزاب الشيوعية في الدول الأخرى[٣]

موقف حركة الإخوان من تيار الاشتراكية:

ولقد كان للتيار الإسلامي موقف مشهود من التيار الشيوعى في مصر، فبرغم أن التيار الإسلامى قد هاجم كافة التيارات التغريبية إلا أنه كان يدرك أن عداءه تجاه التيار الشيوعى كان مزدوجا لأنه مقتبس من مفكرين أجانب من جهة، ولكونه يجاهر بعدائه للأديان من جهة أخرى وبالتالى فقد نال هذا التيار القسط الأكبر من الهجوم من قبل التيار الإسلامى[٤].

وليس هذا فقط هو الذى دفع التيار الإسلامى إلى مهاجمة الاشتراكية والشيوعية ، ولكن بسبب هجومهم على الأزهر وعلمائه ومن ذلك ما كتبه محمود حسنى العرابى في

---

(١) زكريا سليمان بيومي، الإخوان المسلمون، مرجع سابق، ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) راجع التفاصيل، عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، المرجع السابق، ص ١٣٠، ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠، ١٣١.

(٤) زكريا سليمان بيومي الإخوان المسلمون، المرجع السابق، ص ١٧٩.

مجلة «الحياة الجديدة» في ٢٩ يناير ١٩٢٨ مهاجماً الأزهر لدرجة جعلته يدعو إلى تحويله إلى «كلية لاهوت كما هو الحال في جمهوريتي تركيا وألمانيا وغيرهما» ويسخر من تسمية الأزهر «بالشريف» ومن كلمة «هيئة كبار العلماء» والزي المكون من «العمامة والقفطان» وقوله: إن الأزهريين جيش كبير لو وجه به إلي عمل منتج في أعمال الدولة لخطت البلاد خطوة واسعة إلى الأمام[١].

ولاشك أن ظهور هذا التيار وتناميه يوما بعد يوم، ومهاجمته الأديان كان من أكبر الدوافع إلى قيام حركة إسلامية منظمة توقف المد الإلحادى المتمثل في حركة الحزب الشيوعى المصرى، فكانت حركة الإخوان المسلمين التى ما قامت إلا لنشر الفكرى الإسلامي ومحاربة الفكر الإلحادى فعندهم «أن الفكر لايقاومه إلا فكر أسلم منه وأقوى» ومن هنا كان الشيخ البنا يهيب بالمجموعات الشيوعية أن تتفهم الإسلام الذي يتضمن من الأسس الإصلاحية ما يسمو على المذهب الشيوعى بكثير[٢].

ويذهب أحد الباحثين إلى أن موقف جماعة الإخوان المسلمين من هذه المنظمات كان ينم عن عداء كامل، وبالتالى إصرار على ضرورة محاربة هذا التيار، وأنهم كانوا يعتبرونه أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من حركة التبشير، وأن خطره يهدد كيان المجتمعات حيث إنه إذا نجح، سيهدم المساجد، ويعطل العبادة ويبيح الأعراض، ويذل الأديان بعد عزة وحينئذ يكون موقف الإخوان المسلمين من التيار الفكرى الاشتراكي - الشيوعى هو نفس الموقف الذى اتخذه أنصار تيار الفكر الإسلامى قبل ظهور الإخوان، إذ اتسم هذا الموقف بالعداء المزدوج للفكر الشيوعى، والرد والهجوم العنيف على هذا الفكر الإلحادى المادى.[٣]

ويرى محمود عبد الحليم أن فى معاناة الطبقات الفقيرة فى البلاد الإسلامية مرتعا خصيبا للشيوعية، ولذا أخذت دعوة الإخوان تحتضن كل تجمع عمالى صناعى أو زراعى ضد مستغليهم من أصحاب المصانع وملاك الأراضى.. وأن الشيوعية باعتبارها فكرة تريد أن تغزو بلادنا، والفكرة لا يقهرها إلا فكرة .. وأن الشيوعية العالمية تعد الإخوان المسلمين من ألد أعدائها وأكبر عائق فى طريقها.[٤]

---

(١) راجع بالتفصيل: سعيد إسماعيل على، الفكر التربوى العربى الحديث، مرجع سابق ٣١٢-٣١٣.

(٢) ريتشارد ميتشل، الإخوان المسلمون، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٣) زكريا سليمان بيومى، الإخوان المسلمون، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٤) محمود عبد الحليم، الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، جـ ١، دار الدعوة والإسكندرية، ط١ ١٩٧٩، صـ ٤٨٢ - ٤٨٣.